أم الجمال..
نموذج الاستيطان الريفي واستدامة العيش في بادية حوران

مواقع التراث العالمي في الأردن

الموقع الجغرافي

تقع أم الجمال في البادية الشمالية الشرقية للأردن، ضمن بيئة حورانية بازلتية مميزة بالقرب من الحدود السورية. شكّل هذا الموقع جزءًا من شبكة أوسع من المراكز الريفية المرتبطة بالمراكز الحضرية الكبرى في العصور القديمة، حيث مثّلت المنطقة نقطة تفاعل بين البادية والمناطق الزراعية المستقرة. كما ساهمت طبيعة الأرض البازلتية وندرة المياه في تشكيل أنماط استقرار ومعيشة متكيفة مع البيئة الجافة.

نبذة عن الموقع

تُعد أم الجمال مستوطنة ريفية تطورت بشكل عضوي فوق موقع استيطان روماني سابق، حيث بدأت ملامحها بالظهور منذ القرن الأول الميلادي عندما كانت جزءًا من المملكة النبطية، وازدهرت لاحقًا خلال العصرين البيزنطي والإسلامي المبكر حتى نهاية القرن الثامن الميلادي.

تكمن أهمية الموقع في كونه يقدم نموذجًا متكاملاً للحياة الريفية في إقليم حوران، حيث تتجلى أنماط العيش الزراعي والرعوي ضمن بيئة قاسية، مدعومة بأنظمة متقدمة لتجميع المياه. كما يعكس الموقع استمرارية الاستيطان والتكيف الثقافي رغم التحولات السياسية والدينية، وهو ما يظهر من خلال النقوش متعددة اللغات (اليونانية، النبطية، الصفائية، اللاتينية، والعربية) التي توثق تطور المعتقدات والهوية الثقافية للسكان عبر الزمن.

ويمثل الموقع نافذة لفهم العلاقة بين المراكز الحضرية الكبرى ومحيطها الريفي، حيث يعكس ديناميكيات التفاعل بين الإمبراطوريات والسكان المحليين في الأطراف.

معايير الإدراج على لائحة التراث العالمي

أدرج أم الجمال على قائمة التراث العالمي عام 2024 وفق المعيار التالي:

المعيار الثالث: « يمثل الموقع شهادة فريدة أو استثنائية على تقليد ثقافي أو حضارة قائمة أو مندثرة»

تمثل أم الجمال نموذجًا استثنائيًا للاستيطان الريفي الحوراني الذي تطور حول الأنشطة الزراعية والرعوية في الهضبة البازلتية. ويعكس الموقع بوضوح القيم الاجتماعية والتقاليد الثقافية لسكان حوران، كما تتجسد في عمارتهم البازلتية المميزة وأنماط تنظيمهم العمراني. وتبرز أهمية الموقع في استمرارية هذه التقاليد عبر قرون طويلة، رغم التغيرات السياسية والدينية، مما يجعله شاهدًا حيًا على مرونة الثقافة الحورانية وقدرتها على التكيف.

أم الجمال: العمارة، التخطيط، وأنماط البناء

تتميز أم الجمال بنسيج عمراني متكامل يتكوّن من مجموعات من البيوت متعددة الطوابق ذات الأفنية الداخلية، موزعة ضمن أحياء واضحة التنظيم. ويضم الموقع عددًا كبيرًا من المباني، بما في ذلك ستة عشر كنيسة تعكس التنوع الوظيفي والديني للمجتمع.

ويُعد استخدام الحجر البازلتي السمة الأبرز في عمارة الموقع، حيث يعكس هذا الاستخدام استجابة مباشرة للبيئة المحلية، من خلال تبني حلول إنشائية قائمة على المتانة والاقتصادية والقدرة على التكيف. كما تم إعادة توظيف بعض المباني العسكرية الرومانية ضمن النسيج الحضري اللاحق، مما يعكس استمرارية الاستخدام وإعادة التكيّف مع المتغيرات التاريخية.

وعلى المستوى التقني، اعتمدت المدينة على نظام متطور لتجميع المياه، شمل قنوات وخزانات مرتبطة بالأودية المجاورة، مما مكّن من دعم الأنشطة الزراعية والرعوية في بيئة شبه جافة. وقد شكّل هذا النظام عنصرًا أساسيًا في استدامة الاستيطان واستمراريته.

الخلاصة

تمثل أم الجمال نموذجًا فريدًا للاستيطان الريفي المستدام في البيئات القاحلة، حيث تجسّد تفاعل الإنسان مع الموارد المحدودة من خلال حلول معمارية وتقنية مبتكرة. وبفضل قيمتها العالمية الاستثنائية، توفر المدينة مرجعًا مهمًا لفهم أنماط العيش الريفي التاريخي، وتقدم دروسًا قيّمة في الاستدامة والتخطيط العمراني المتكيف مع البيئة، وهو ما يعزز أهميتها في سياق إدارة التراث الثقافي المعاصر.